# الفصل الثانى عشر

## تكيف المهاجرين الريفيين بالمدينة

### دراسة حالة لمدينة القاهرة (*)

يعتبر التحضر الذى يصيب أجزاء كبيرة من ثقافة الفلاحين فى العالم بصفة عامة ، وفى المجتمعات التى تتحول نحو التصنيع بصفة خاصة ، يعتبر من أهم الظواهر اثارة فى العقود الأخيرة .

ولم تشهد سوى اماكن قليلة امتداد هذه الظاهرة بنفس الطريقة التى وجدت بها فى مصر ـ فقد تأثرت فى البداية باقتصاد الحرب فى الأربعينات ، ثم استمرت فى التزايد التدريجى فى الخمسينيات كاستجابة للظروف الداخلية للاقتصاد النامى (١) ـ ومنذ ذلك الحين وحتى الآن نجد أن واحدا من كل

---

(*) ترجم هذا الفصل الاستاذ / أحمد عبد الله زيدان المدرس المساعد بقسم الاجتماع بكليـــة اداب القاهرة عن المصدر التالى :ـ

J. Abu-Lughod, «Migrant Adjustment to City Life : The Egyptian Case» ; **American Journal of Sociology, Vol. 67.** 1961 - 1962 P. 22.

ولقد اعيد نشر هذا المقال فى المصدر التالى الذى أخذت عنه الترجمة .

Abdulla M. Lutfiya and Charles W. Churchill (eds.) **Readings in Arab Middle Eastern Societies and Cultures,** Mouten The Hauge. Paris, 1970. pp. 665 - 678.

والمقال صورة معدلة من ورقة كانت قد قدمت الى مؤتمر The Emerging Arab Metropolis الذى عقد بالقاهرة فى ديسمبر ١٩٦٠ . وتعمل جانيت أبو لغد أستاذة مساعدة لعلم الاجتمـاع بالجامعة الامريكية بالقاهرة .

(١) وذلك للطرد الذى تمارسه البيئة الريفية الناحلة التى تعتبر عنصرا على نفـس القدر من الاهمية فى هذا النمو الحضرى .

ثلاثة من المصريين يعيش فى منطقة حضرية يزيد عدد سكانها عن ٢٠٠ر٠٠٠ نسمة ٠

وتعد الهجرة من المناطق الريفية المسئول الأول عن المعدل المرتفع للتحضر فى مصر ، على الرغم من أن معدل الزيادة الطبيعية ، وهو معدل مرتفع فى الريف والمدينة على حد سواء ، مسئول عن نصف المعدل السنوى للنمو الحضرى ٠

وتتركز الهجرة فى اكبر مدن مصر متخطية بذلك المدن ذات الاحجام الصغيرة ٠ ولهذا فان مبدأ الزيادة الكبيرة ينسحب على كل المدن مع ارتباط معدلات الزيادة المرتفعة ارتباطا ايجابيا بالحجم (٢) والواقع أن المدن ذات الاحجام الكبيرة قد احتفظت فى العقود الثلاثة الأخيرة بمعدلات نمو اكثر من ضعف معدل الزيادة الطبيعية فى نفس الوقت الذى لم تستطع فيه المدن الأصغر ، التى يصل تعدادها ما بين ٢٠ر٠٠٠ ، ٣٠ر٠٠٠ نسمة ، أن تحافظ على معدلات الزيادة الطبيعية فيها ، أى أنها تعانى عملية استنزاف مستمر لسكانها ٠

من هنا نجد أن التأثير الضافى للهجرة يظهر على أشده فى المدن الكبرى ، وعلى رأسها القاهرة التى يقترب عدد سكانها فى الوقت الحالى من ثلاثة ملايين

---

(٢) انظر :

Charles Stewart, jr., «Migration as Function of Population and Distance» **American Sociological Review, XXX** (june, (1960) 349 - 356., George Zipf, **Human Behavior and principle of the Least Effort**, Cambridge Mass, Adison - Wesley Press, 1949.

ولقد تم تطبيق هذا الفرض على المادة المستقاة من المجتمع المصرى عن طريق كاتبة هذا المقال ٠

ونصف (*) ، والتى تعتبر أهم وأكبر مستقبل للسكان الجدد • ولهذا فان هذا المقال سوف يركز على تكيف الفلاحيين المصريين مع الحياة فى مدينة القاهرة ، وذلك بالتعرف على طبيعة هذا التكيف ، والعناصر التى تصاحب أى تحول فجائى من حياة الريف الى الحياة الحضرية •

**الريف والمدينة فى القاهرة :**

دائما ما يقع علماء الاجتماع ممن يهتمون بدراسة تكيف المهاجرين من الريف مع حياة المدينة فى مشكلة من صنع أيديهم • فحتى بعد تخليهم عن فكرة الثنائية الريفية ـ الحضرية واستبدالها بفكرة المتصل الريفى الحضرى الاكثر تعقلا ، فانهم مازالوا يدرسون سياق ديناميات التكيف كما لو كانت الثنائية الريفية الحضرية على قدر من الصواب • وقد دفعت الافتراضات غير الواعية الكثير من الدارسين الى تكوين صورة مبسطة عن تكيف من جانب واحد للرجل القادم من الريف مع ثقافة حضرية « مستقرة » ، وبالرغم من أن هذه الافتراضات قد أولت اهتماما سطحيا لردود الفعل والتمثل المتبادل •

لقد نظر هؤلاء الدارسون للتكيف على أنه يؤدى الى صورة متطرفة من التفكك • فقد صور التكيف من الناحية الفيزيقية ـ على أنه يؤدى الى تبدل جذرى فى المسكن ، وتغير فى الأثاث داخل المنزل • وهو يؤدى أيضا الى تغير فى نطاق الجيرة المحيطة بالمهاجر ، هذا فضلا عن تغير مظهره وزيه • أما من الناحية الاقتصادية ، فقد انصب الاهتمام على تكيف المهاجر مع مهن جديدة ومع أسلوب جديد لتقسيم العمل داخل الأسرة ، ومع مختلف العلاقات برفاق العمل • ومن الناحية الاجتماعية ، ظهر الافتراض الذى مؤداه أن المهاجر

---

(*) جاء هذا الرقم حسب احصاء قديم ، فقد بلغ تعداد القاهرة حتى يوم ١٨/٣/١٩٧٥ ٨ مليون و ٤٠٥ نسمة : حسبما جاء فى المؤتمر الصحفى لرئيس الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء المنعقد يوم الخميس ٢٠ مارس ١٩٧٥ •

( المترجم )

ينتزع نفسه من الانتماء الى القرية وينخرط فى العلاقات السطحية التى تميز الحياة الحضرية ، ويبتعد عن الجماعة الصغيرة المتجانسة فى القرية لكى يكيف نفسه مع الجماعات المرجعية المتفرقة فى المدينة ، وهو يشعر بالضآلة فى الحياة الاجتماعية المتركزة فى جماعة الجوار • أما من الناحية الثقافية ، فقد افترض أن المهاجر يتعرض لثورة فى الدافعية ، والقيم ، والأيديولوجية • وباختصار فانه طبقا للثنائية الريفية الحضرية ، يبدو الفرد المهاجر كما لو كان شخصا يلقى به فى قلب القاهرة دونما سلاح يحميه وعليه أن يتكيف مع الحياة فيها أو يضيع فى شوارعها دون أن يجد من يهون عليه •

ونود هنا أن نركز على فكرة مؤداها أن الثنائية لا تصدق فى مصر والكثير من الأمم النامية مثلما هو الحال فى الأمم الغربية ، وان اختلفت الأسباب • فالسبب فى عدم ازدياد حدة الثنائية فى هذه الدول هو التريف المستمر للمدن (٣) •

وهناك حقيقة واحدة يجب توضيحها لتدعيم ادعائنا السابق : فأكثر من ثلث السكان الدائمين فى القاهرة ولدوا خارج المدينة ، أى أن واحدا من كل ثلاثة من القاهريين يعد مهاجرا بطريق أو بآخر ، والغالبية الغالبة منهم قادمة من مناطق ريفية داخل مصر (٤) • وبناء على ذلك فان الحديث من التكيف من جانب واحد مع الثقافة الحضـــرية فى الوقت الذى يرتبط فيـه غالبيـة عظمى بحاجات وعادات الريف الجمعيـــة هو حديث مشروع

---

( ٣ ) ومن المحتمل الا تزداد حدة الثنائية بالدرجة التى وجدت بها فى الغرب ، لانـه مع تريف المدن ينتشر التحضر باستمرار فى المناطق الريفية حيث تتسـع الطـــرق ، وينتشر التعليم ، والخدمات الاجتماعية . ولقد كانت هذه العمليات منتشرة فى فـــترة زمنية من التطـور فى المدن الغربية .

( ٤ ) بلغ عدد سكان القاهرة حسب احصاء عام ١٩٤٧ اكثر من ٢ مليون نسمة منـهم ١ر٣ مليون ولدوا فى القاهرة و ٥١ر٠٠٠ ولـــدوا فى محافظات أخرى ( المدن الكبـرى ) و ٥٩٠ر٠٠٠ ولدوا خارج مصر . وبهذا يكون حوالى ٦٣٠ر٠٠٠ من سكان القاهـرة قادمـين من منـاطق ريفـــية .

الى حد كبير • ويجب أن نلتفت من خلال الارقام وحدها الى الاحتمال الذى مؤداه أن المهاجرين يسكلون ثقافة المدينة مثلما يتكيفون معها تماما •

وينتمى المهاجرون الريفيون الى نمطين يواجه كل منهما مشكلات تكيف مختلفة تمام الاختلاف • يتكون النمط الأول ـ وهو افضل المهاجرين من حيث الكيف وأقلهم أهمية من حيث العدد ـ من الشباب فى مقتبل العمر المهاجر من أجل البحث عن العلم أو من أجل هدف اكبر • ويكون لدى هذا النوع من المهاجرين الدافع والقدرة على التمثل السريع لثقافة المدينة • ولا تدخل مشكلاتهم المتعددة ضمن بؤرة اهتمامنا فى هذا المقال • أما النمط الثانى ، والذى سنطلق عليه فى تحليلنا المهاجرون غير المنتخبين non - Selective (*) فيتكون بصفة أساسية من معدمى الريف • ويندفع هؤلاء المهاجرون ـ باعدادهم الكبيرة ـ الى المدينة بنفس درجة طرد أرض القرية الجدباء لهم (٥) • ويحاول هؤلاء المهاجرون أن يكونوا لأنفسهم داخل المدينة صورة طبق الأصل من الثقافة التى تركوها وراءهم « ثقافة القرية » ، وذلك لقدرتهم المحدودة على تمثل ثقافة المدينة •

وهناك ظرف آخر ساهم فى أن تكون القاهرة مدينة ريفية أكثر مما هو متوقع ، وهو استيعابها المستمر للمناطق التى سبق أن كانت قرى وضمها الى المدينة المتروبوليتانية • وبينما تعتبر هذه القرى قديمة ، كالطرية وبلدة « أون » الفرعونية وهليوبولس » وعلى سبيل المثال ، فان بعضها جديد نسبيا • والمشاهد الحصيف وحده هو الذى يستطيع أن يميز بين قرية داخل القاهرة وقرية تقع على بعد ميل من اطرافها • والمحقق أن مدينة القاهرة تحوى داخل حدودها أطرافا ريفية حضرية تقف على مقربة

---

( * ) المقصود بالمهاجرين غير المنتخبين جماعات الفلاحين التى تأتى الى القاهرة بغرض العمل وذلك تمييزا لهم من المهاجرين المنتخبين Selective الذين يأتون لطلب العلم او شغل الوظائف الحكومية • ( المترجم )

(٥) انظر النتائج غير المنشورة لعالمى الاجتماع الامريكيين كارين Karen وجين وبترسن Gene Petersen واللذان درسا عينة من ١٫٢٥٠ من امير المهاجرين فى خمس قرى من قرى الدلتا •

من الفيلات الحديثة فى الغرب ، وتتخلل حى مصر القديمة الحضرى وضاحية المعادى فى الجنوب فى شكل بيوت ذات طابق واحد من الطمى ، وتتعمق الى قلب المدينة فى الشمال ، وتلتف بصورة مختلفة الى حد ما حول قاهرة العصور الوسطى فى حدودها الشرقية • فهناك داخل مدينة القاهرة الكثير من الأحياء التى يتشابه أسلوب حياتها من الناحية الفيزيقية والاجتماعية وكذلك خصائص قاطنيها مع ما يتميز به ريف مصر •

وبالرغم من أن البرهنة على هذا الافتراض يخرج عن مجال هذا المقال (٦) ، فان أرقاما قليلة يمكن أن توضح هذه النقطة • فالالمام بالقراءة والكتابة فى مصر يرتبط بالحضرية Urbanism • ففى أوسع المراكز المتحضرة ، تراوحت معدلات الالمام بالقراءة والكتابة بين ٤٠٪ و ٥٠٪ حسب تعداد ١٩٤٧ بينما لم تتجاوز المعدلات فى المدن الصغيرة والقرى ٢٥٪ وفى واحد من ثمانية تعدادات سكانية أجريت فى القاهرة ، كان هذا المعدل اقل من ٢٥٪ • وكما هو متوقع تكشف المناطق الريفية الحضرية داخل المدينة عن أقل المعدلات ( ٥٪ ، ٧٪ ) ، فالسكان هنا ليسوا اكثر المانا بالقراءة والكتابة من الفلاحين • ويمكن اقامة مقارنة فى ضوء متغيرات حضرية أخرى مثل معدلات الخصوبة ، والتجانس الدينى والسلالى ، وحالة ونمط المسكن • وهى متغيرات تكشف عن الحقيقة الثابتة التى مؤداها أنه توجد داخل مدينة القاهرة مناطق فرعية تقترب خصائصها الفيزيقية والاجتماعية بشدة من خصائص قرى الريف •

**اين يستقر المهاجرون فى القاهرة :**

يمكن أن يعيش المهاجرون فى أى من المناطق الشاسعة فى المدينة التى ما تزال تحتفظ بأوجه شبه رئيسية مع القرية • ولكن الى أى مدى يختارون بالفعل مثل هذه المناطق بمجرد دخولهم الى المدينة ؟ سوف ينصب اهتمامنا هنا

---

(٦) قدمت هذه البرهنة بالتفصيل فى كتاب عن القاهرة نشره مركز البحوث الاجتماعية بالجامعة الامريكية بالقاهرة •

على مناطق الاستقرار الاولى للمهاجرين غير المنتخبين ، طالما أننا نفترض أن أحد الركائز الأساسية فى تمثل المهاجرين لثقافة المدينة هو طبيعة الجماعة الفرعية المحلية التى ينجذب اليها هؤلاء المهاجرون ٠

ولا تقدم لنا احصاءات السكان فى مدينة القاهرة أى دليل مباشر على مكان استقرار المهاجرين فى المدينة (٧) ولذلك فاننا سوف نضطر للتعرف على التوزيع الايكولوجى للمهاجرين الى الاستعانه بخصائص عامة :

فأولا : توضح الدراسات التى أجريت على عينات صغيرة فى مصر وبعض الدول الآخذة فى التصنيع أن افواج المهاجرين من الريف يتبعون نمطا طرازيا نسبيا فى استقرارهم المبدئى فى المدينة (٨) ٠ والمهاجر الطرازى هنا كما فى أماكن أخرى ، هو شاب صغير يصاحبه فى اتصاله الأول بالمدينة صديق أو قريب من قريته ، حيث يقضى معه الأيام الأولى القليلة ، وبعد ذلك يعثر على سكن اكثر استقرارا ، وعادة ما يكون هذا السكن فى نفس المنطقة التى يعيش فيها صديقه ٠ ينتج عن هذه العملية فى النهاية تركز المهاجرين من قرى معينة داخل أقسام فرعية صغيرة فى المدينة ٠ وثانيا فان الهجرة الى القاهرة تميل الى أن تظهر فى موجات Spurts رئيسية

---

(٧) لا يوجد فى هذا الاحصاء ــ للاسف ــ جدولا يرضح محل الميلاد او توزيع مساكن المهاجرين بالمدينة ٠

(٨) انظر :

H. Saaty and G. Hirabayashi, **Industrialization in Alexandria** ( Cairo, Social Research Center, 1956) ; Demographic Acpects of Urbanization in the ECAFA Region, **Urbanization in Asia and the Far East** ( Clacutta, Research Center in the Social Implications of Industrialization in Southern Asia, 1957) ; a variety of papers in UNESCO, **Social Implications of Industrialization and Urbanization in Africa South of the Sahara** (Paris, United nations, 1956) among others.

أهمها على الاطلاق فى الأوقات الأخيرة الموجة التى ظهرت فى بداية العقد الخامس من هذا القرن • ولهذا فان المهاجر الطرازى لا يندفع فقط الى منطقة صغيرة داخل المدينة يكون بها أفراد من قريته ، بل انه لن يكون القادم الجديد الوحيد وقت وصوله •

يعمل هذان العنصران سويا وينتج عنهما تجمعات صغيرة من الفلاحين المهاجرين الذين لهم ماض مشترك فى القرية وغالبا ما يكون لهم تاريخ متشابه ومتزامن للتكيف مع حياة المدينة • ويمكن أن نقارن هنا بين هذه التجمعات وبين أحياء الجيتو ghettos التى تقوم على التميز العرقى فى مدن أمريكا الكبرى فى بداية هذا القرن • وبالرغم من أن تجمعات القرويين من كفر الباجور وجروان أصغر من تجمعات ليتل سيسلى Little Sicilies وبالرغم من أن القرويين ينفصلون « وهم يفصلون أنفسهم » عن التيار الرئيسى للحياة الحضرية من خلال حواجز أقل من اللغة وعادات العالم القديم ( التى يستخدمها اليهود ) بالرغم من ذلك فانهم يطورون نموذجا وقائيا للتجاور الفيزيقى فضلا عن بعض النظم التى تخفف من مصاعب الانتقال •

وتعد الاتحادات الرسمية التى يؤسسها المهاجرون على جانب من الأهمية ـ بشكل مباشر ـ فى دراسة ديناميات التكيف الحضرى للمهاجر الريفى ، بل انها اكثر أهمية ـ بشكل غير مباشر ، طالما أن مواقعها وتوزيعها داخل المدينة يقدم الدليل الوحيد على المكان الذى يستقر فيه المهاجرون الى القاهرة • وقبل تحليل نظام توزيع هذه المؤسسات فاننا بحاجة الى أن نتعرف على طابعها •

ظهر فى **دليل المؤسسات الاجتماعية بالقاهرة** (٩) اكثر من مائة وعشرة جمعية خيرية ، تعد جمعية جروان الخيرية خير ممثل لها • وجروان قرية يبلغ عدد سكانها ٨ر٠٠٠ نسمة ، تقع فى قلب الدلتا على بعد ما يقرب من

---

(٩) أعده عزيز استيفان ونشره مركز البحوث الاجتماعية بالجامعة الامريكية بالقاهرة عام ١٩٥٦ •

أربعين ميلا شمال غرب القاهرة · ولقد ادى ضغط السكان فى هذه القريـة فى البداية الى تكوين قرى فرعية بجوارها · ولكن اضطر للكثير من الذكور أن يبحثوا عن عمل فى القاهرة · ( حيث أن القرية بهـا الآن نسـبة كبيرة من النساء ) · وتأسست جمعية جروان الخيرية عام ١٩٤٤ « لتقدم المعونة الى أعضـائها » الى جانب « القيـام بخدمات دفن الموتى » · والجمعية تخضع للتمويل الذاتى حيث تمول أنشـطتها من خـلال الاشتراكات التى يدفعها « ٣٢٠ من الذكور المصريين المسلمين من جروان » حسب ما هو وارد فى دليل الجمعية · واذا ما استخدمنا تقديرا مناسبا لحجم الأسرة ( فردان يعولهما شخص بالغ ) فاننا نستطيع أن نقدر عدد الأشخاص الذين يكونون نواة الجماعة التى تعيش خارج جروان بما يقرب من ١٠٠٠ شخص ·

واذا ما اعتبرنا أن موقـع هذه الجمعيـات دليـل مباشـر على أماكن الاستقرار فاننا نستطيع أن نؤسس بناء على ذلك افتراضين أساسيين : أولا : يجب أن نفترض أن المهاجرين من قرى معينة لا يوزعون بطرق عشوائية فى المدينة ولكن العمليات التى وصفناها من قبل ينجم عنها تجمعات لأشخاص من نفس القرية (١٠) ثانيا : يجب أن نفترض أن مقر جمعية المهاجرين يقع فى نفس المنطقة التى تحوى الحد الأعلى من تركز الأعضاء أو بالقرب من مكان التركز · وبينما لا يصدق هذا الحكم على جميع الحالات فان المرء يجب أن يتوقع قدرا من العـلاقة بين مقـر الجمعية الأهليـة للمهاجرين وبين مكان استقرار اعضائها ·

وحتى لو كانت هذه الافتراضات غير قابلة للشك ( والأمر خلاف ذلك بطبيعة الحال ) فان تحليل مواقع الجمعيات سوف لا يكون مفيدا اذا ما كانت

---

(١٠) ليس من الضرورى أن يوجد المهاجرين القدامى فى القاهرة فى المناطق السكنيه المزدحمة ، حيث ينتقل الناجحون منهم فى حياتهم الاقتصادية الى أجزاء أخرى من المدينة . وبعضهم الآخر لا يتبع النمط الطرازى للسكنى . مثال ذلك المهاجرون المنتخبون وأولئـك الذين لهم خبرات وسيطة كالعاملين فى القوات المسلحة .

الجمعيات منتشرة انتشارا غير منتظم داخل المدينة كلها • ولكن الواقع غير ذلك لحسن الحظ • فعندما استطت العناوين المدونة بالدليل على خريطة ، ظهر نموذج محدد ـ وان كان غير بسيط ـ يوضح بطريقة قاطعة تلك المناطق التى يتركز فيها المهاجرون • فأغلب التجمعات تقع داخل الحزام المحيط بالحى التجارى المركزى ولا تقع داخله على الاطلاق • ويظهر هذا الحزام فى شكل نصف دائرة من الشرق والغرب تمتد الى ما وراء الحى التجارى بما يقرب من ربع ميل ، كما يمتد شمالا وجنوبا ما يزيد عن ميل واحد بعيدا وسط المدينة ، وهكذا يتفق هذا الحزام مع الشكل العام للمدينة •

**منطقة الاستقرار الشمالية :**

تتركز ثلث جمعيات المهاجرين فى جزء من المدينة يمتد ناحية الشمال من الحى التجارى المركزى ، وهو محاط بخطوط السكك الحديدية الرئيسية من الجنوب والشرق ، ويحتضنه النيل من ناحية الغرب ، وتحده من الشمال منطقة زراعية • ويضم هذا القسم منطقتين ذات تركز كثيف : الأولى قرب محطة أتوبيس الخازندارة ، والثانية فى الشرابية شمال محطة باب الحديد • وتعمل محطة أتوبيس الخازندارة منذ العقد الثالث من هذا القرن كنهاية لخطوط الأتوبيس التى تربط مصر السفلى ( الدلتا ) بالقاهرة • ففى منطقة لا يتجاوز بعدها ربع ميل عن هذه المحطة تقع ثمانى جمعيات قروية كلها تمثل قرى من الدلتا ، ويوجد أيضا على بعد نصف ميل من المحطة ست عشرة جمعية تتركز عشرة منها فى منطقة بلوكات تقع الى شمال المحطة مباشرة • وتضم تلك المنطقة خليطا غريبا من الملامح الريفية الحضرية • اذ انه يوجد خلف الشارع الرئيسى الذى توجد به المحطة شوارع وأزقة غير مرصوفة أصابها الهدم قبل الأوان فبدت تالفة بشكل ملحوظ ، بجانب اسكان حضرى تتناثر بينه انماط ريفية البناء • فالمساكن ذات الطابقين والثلاثة تتناقض بشدة مع الأبنية ذات الستة أو الثمانية طوابق والتى توجد بالشارع الرئيسى • ومن المألوف أن ترى جماعة من النسوة يجلسن القرفصاء بزيهن الأسود ليتجاذبن أطراف الحديث ، وغير بعيد عنهن ترى رجلا عجوزا يجلس امام منزلة ، وشاة يثغو ، وجمع من الأطفال يحتشد فى جماعات • وعندما

استقبلت هذه المنطقة أول دفعة من المهاجرين كانت واجهة للاستقرار الحضرى • وفى عام ١٩٤٠ كانت هناك مزارع قرب شمال هذه المنطقة ، زحفت عليها المدينة الآن •

أما التركز الثانى لجمعيات المهاجرين الخيرية فيقع فى حى الشرابية الصغير ، حيث توجد سبع جمعيات ، تقع فى أربع وحدات سكنية ، تمثل جميعها قرى من الدلتا • ويرتبط الكثير من قاطنى تلك المناطق ـ من الناحية المهنية ـ بفناء السكة الحديد الذى يحيط بهم • وبالرغم من الموقع الجغرافى المتوسط فان هذا الجزء يمثل منطقة ريفية بحتة ويحتفظ بروابط وظيفية وثيقة بالأطراف الريفية للمدينة ، التى تتداخلها المزارع وليست خطوط السكك الحديدية • وتنتشر فى هذه المنطقة المبانى المنخفضة التى بنى بعضها بالطوب اللبن • وتتشابه المؤسسات التجارية الموجودة فى هذه المنطقة مع تلك الموجودة فى القرى الكبيرة أو البلدان الصغيرة • وتقع أغلب الجمعيات الخيرية الخاصة بمنطقة شمال المدينة فى منطقتى الشرابية والخازندارة •

وتمثل أغلب الجمعيات الموجودة فى هذا الجزء قرى من مصر السفلى ( الدلتا ) ، ومن ثم فانه من المفترض أن يستقر المهاجرون ليس فقط بالقرب من مكانهم الأصلى ( الذى قدموا منه ) ولكن أيضا بالقرب من مكان اتصالهم الأول بالمدينة ، وأعنى بذلك نهاية محطة الاتوبيس • وفضلا عن ذلك فان المهاجرين الذين يستقرون فى هذه المنطقة من المدينة يختارون مناطق تكون على حافة العمران الحضرى ، على الأمل أثناء فترة الاستقرار الأولى •

**منطقة الاستقرار الجنوبية :**

وهناك مجموعة ثالثة من جمعيات المهاجرين تتركز جنوب الحى التجارى المركزى مباشرة ، على مسافة قريبة من أطراف المدينة الريفية الحضرية الجنوبية • ويوجد اكثف هذه التجمعات فى المنطقة المؤدية الى منطقة الحى التجارى ـ وهى عبارة عن حزام منحنى يفصل المنطقة التجارية ذات النمط الغربى على شماله وغربه عن السوق البلدى والأحياء السكنية على جنوبه

وشرقه • ويقع بهذه المنطقة خمس وعشرون جمعية ، بينما تنتشر الجمعيات الباقية فى اقصى الجنوب ناحية مصر القديمة •

والحقيقة المذهلة ان أغلب هذه الجمعيات تمثل قرى من مصر العليا ، وهكذا يبدو أن مبدأ بذل أدنى مجهود يتحكم فى توزيع المهاجرين • فالفلاحون القادمون من الشمال يفضلون الجزء الشمالى من المدينة بينما يفضل أولئك القادمون من الجنوب الاقامة فى المنطقة الجنوبية • ولكن بينما يقيم أهل الشمال روابطهم بأسر المنطقة السكنية عند أطراف المدينة نجد أهل الجنوب يقيمونها مع منطقة تجارية هامشية يوجد بها عدد كبير من المهاجرين الذكور غير المتزوجين (١١) ويوضح مزيد من التفسير لهذه الظاهرة أن الذكور غير المتزوجين من أهل الجنوب يقطنون بصفة مبدئية فى حجرات مستأجرة ، بينما يقيم أهل الشمال فى منزل رئيس الجمعية •

ولكن ما الذى يفسر لنا هذا الاختلاف ؟ بامكاننا هنا أن نقدم فرضا اساسيا : يتبع مهاجروا الدلتا نمطا مختلفا من الهجرة الداخلية يترتب عليه نمط مختلف من التكيف مع مجتمع المدينة على عكس ما يفعل مهاجروا الوجه القبلى • اولا : يتحرك مهاجروا الدلتا منذ البداية فى جماعات أسرية ، بينما يكون القادمون من الجنوب اما من الشباب غير المتزوجين أو أولئك الذين يتركون زوجاتهم وأطفالهم فى قراهم • فمن بين حوالى ٤٠٠ر٠٠٠ مهاجر الى القاهرة من مصر السفلى عام ١٩٤٧ ، تبين أن ما يقرب من نصف هذا العدد من الذكور ، والنصف الآخر من الاناث ، فى الوقت الذى تبين فيه أن عدد الذكور من مهاجرى مصر العليا حوالى ٢٠٠ر٠٠٠ من جملة المهاجرين البالغ عددهم ٢٥٠ر٠٠٠ ، وبناء على ذلك فان معدل النوع بين مهاجرى

---

(١١) يبلغ معدل النوع هنا ١٢٩ بين الاعمار التى فى سن الهجرة، أى بين ١٥ ــ ٤٩ سنة ، بينما يبلغ هذا المعدل فى الجزء الشمالى ١٠٤ فقط • ويبلغ عدد الذكور الذين فى سن الزواج من غير المتزوجين ٤٠ ٪ بينما تبلغ هذه النسبة فى الجزء الشمالى ٢٥ ٪ ( حسب احصاء ١٩٤٧ ) •

الدلتا متوازن بدرجة ملموسة ، بينما توجد أمراة بين كل أربعة رجال من مهاجرى مصر العليا فى القاهرة ٠

**ثانيا** : هناك فروق مهنية ذات دلالة بين هاتين المجموعتين من المهاجرين تؤثر على انماط التكيف ، والتوزيع المكانى ٠ فالمهاجرون من مصر العليا يتجهون بصفة مبدئية الى العمل فى الخدمات المنزلية والشخصية والعمل الجماعى الذى لا يتطلب مهارة ، بينما نجد أن المهن التى يتوجه اليها مهاجروا مصر السفلى اكثر اختلافا ولا تدخل فيها الاقامة كجزء من الأجور (١٢) ٠

وفى ضوء هذه الاعتبارات يمكننا أن نفهم بشكل أوفى الفروق الرئيسية بين مواقع جمعيات المهاجرين التى تمثل قرى مصر العليا وتلك التى تمثل قرى مصر السفلى ٠ جمعيات مهاجرى مصر العليا تقع فى منطقة تمثل بالنسبة للرجال غير المتزوجين منطقة لقضاء وقت الفراغ والسكنى فى آن واحد ٠ وتعتبر تلك الحقيقة سببا ونتيجة فى نفس الوقت للطابع الذى يتسم به مهاجروا مصر العليا ٠ وتلعب الجمعيات الأهلية دورا اكثر حيوية فى حياتهم لأن أعضاءها يحرمون من الوحدة الاجتماعية البديلة ، واعنى الاسرة ٠

**المنطقة الوسطى شرق وغرب الحى التجارى :**

أما الجمعيات الباقية فانها تتوزع بين بولاق التى تكون المنطقة الغربية من المنطقة ذات الشكل البيضاوى التى يتركز فيها المهاجرون ، وباب الشعرية والوايلى ويكونان الجزء الشرقى من هذه المنطقة ٠ ويوجد فى المنطقة الأولى عشر جمعيات بينما يوجد فى المنطقة الثانية عشرون جمعية ٠ ولأن الموقع

---

( ١٢ ) عدد « دليل المؤسسات الاجتماعية » المهن السائدة بين اعضاء كل جمعية خيرية ٠ فأعضاء جمعيات مصر السفلى يتوزعون على مهن عمال الحكومة والعمال اليوميين . أما أعضاء جمعيات مصر العليا فانهم يتوزعون على مهن الخدم والحمالين والسعاة .

الايكولوجى لهاتين المنطقتين يتوسط منطقة التركز الشمالى التى تضم مهاجرين من مصر السفلى ومنطقة التركز الجنوبى التى تضم مهاجرين من مصر العليا ، فانهما يمثلان ـ من الناحية السوسيولوجية ـ منطقتين وسيطتين تضمان جمعيات من هنا وهناك بنسب متساوية تقريبا · وهناك أوجه شبه أخرى بين هاتين المنطقتين ، فكلتاهما قريبة من الحى التجارى ، وكلتاهما تتسم بالمكانة الاجتماعية الاقتصادية المنخفضة ( التى تقل عن المكانة التى تتمتع بها منطقة شبرا والمنطقة المؤدية الى الحى التجارى ) : ويمكن اعتبار المنطقتين من المناطق القائمة على سكن الأسر الكاملة · وهما يضمان اكثر الأحياء المتخلفة Slums كثافة فى المدينة : ففى بعض أجزاء بولاق بلغت الكثافة ٩٠٠ر٠٠٠ نسمة فى الميل المربع ، كما أن كثافة حى باب الشعرية برمته تعد أعلى معدل كثافة فى المدينة · واذا كان حى بولاق أقدم من حى باب الشعرية ، فانه أقرب الى الطابع الريفى فى مبانيه وشوارعه · وحتى بالرغم من تجانس المبانى فى حى باب الشعرية وهى مبانى تطل على ازقة ذات مداخل ضيقة ، بالرغم من ذلك فان الحى يضم سكانا أقرب الى الطابع الريفى منه الى الطابع الحضرى ·

هذه هى المناطق التى يندفع اليها المهاجرون داخل المدينة · ويرجع السبب فى أن المهاجرين لا يتركزون داخل المناطق المرتفعة الايجار فى المدينة الى مكانتهم الاجتماعية الاقتصادية المنخفضة · ويندر وجود المهاجرين أيضا فى الأطراف الريفية الحضرية وهى البيئة التى تعد ـ كما رأينا ـ اكثر البيئات ألفة وحماية لهم · ومن الأسباب التى تجعل المهاجرين يبتعدون عن هذه المناطق عدم وجود المساكن المؤجرة فى هذه المناطق ( حيث توجد بها مزارع خاصة وقرى يقطن فيها العاملون بتلك المزارع فقط ) ، ونقص وسائل النقل العامة ، ورغبة المهاجرين فى الاقامة بجوار أعمالهم الجديدة · ومن المناطق التى تهمل دائما عند الحديث عن أماكن العمران القريبة من الأطراف منطقة قاهرة العصور الوسطى ، وهى حزام مستطيل الشكل يضم الأبنية القديمة التى تقع على الحافة الشرقية للمدينة · ومن الأسباب التى حالت دون غزوات المهاجرين لهذه المنطقة عدم بناء أى اسكان جديد فى هذه الأحياء فضلا عن

انخفاض معدل التقلبات الفجائية ( فالسكان يعملون فى حرف تقليدية وضروب من التجارة التقليدية ، حيث يوجد الانتاج والبيع والسكن فى الغالب داخل بناء واحد ) ٠

**بعض الفروض المتصلة بتكيف المهاجرين : ـ**

قسمنا الفروض المتصلة بالتكيف فيما سبق الى أربعة أقسام : فيزيقية ، واقتصادية ، واجتماعية ، وايديولوجية ٠ وسوف نحاول هنا تحديد هذه العناصر الى جانب وصف السمات المميزة لتكيف المهاجر فى مصر ، وذلك من خلال المادة المتصلة بالتوزيع المكانى التى قدمناها فى الفقرات السابقة ، فضلا عن بعض الملاحظات عن الحياة الريفية الحضرية فى مصر (١٢) ٠

**التكيف الفيزيقى :**

ذكرنا أن الكثير من المهاجرين ينجذبون الى مناطق قريبة من الأطراف الريفية الحضرية، بينما يستقر البعض الآخر فى مناطق تشبه المناطق الريفية من الناحية الثقافية على الأقل ٠ وقلما تستخدم الشوارع والحوارى الداخلية فى هذه المناطق فى مرور السيارات ، ويؤدى الشارع نفس وظيفة الشارع فى القرية ، وهو يستخدم كطريق ، ومكان للتجمع ، وملعب ، ومنطقة لربط الدواب ٠

ولكن على المهاجر أن يتكيف مع المسكن وما يحيط به من ظروف فيزيقية ٠ فالمنازل التى يشغلها معظم المهاجرين مساكن ذات نمط حضرى

---

( ١٢ ) قضت الكاتبة أكثر من ثلاث سنوات فى مصر ، سنة ونصف السنة تعمل فى مشروع لليونسكو فى منطقة قروية ، وسنتان فى القاهرة لدراسة بناء المدينة ٠ وهناك الكثير من البيانات تدعمها الانثروبولوجيون والاختصائيون الاجتماعيون الذين لهم خبرة بالمنطقة ، ولهم تدين الكتابة بالفضل ٠

اكثر منه ريفى · يتضح ذلك فى درجة التزاحم التى تعتبر أكبر مما هى عليه فى القرية · فالمنزل القروى يقلل الى ادنى درجة عدد الحجرات لكى يزيد من الأرض الفضاء أمام المنزل ( التى تكون فى الغالب عبارة عن فناء بمحاذاه الطابق الأرضى ، أو فناء مسقوف فى المنزل الواسع المكون من طابقين ) · ويختفى هذا الفضاء فى المنازل التى تسكن الواحد منها أكثر من أسرة فى المدينة · ففى الوقت الذى لم يعد فيه للاعمال المرتبطة بهذا الجزء الفضاء ( الفناء ) مكان فى المدينة ( تجفيف الجله ، وخزن الحبوب ، وربط الماشية ) فان الاستخدامات الأخرى له مثل الطهى وتناول الطعام تنتقل الى داخل المنزل او الى الشارع فى المدينة ·

ولا يرجع ضغط المنزل وانكماشه الى غياب الفضاء الخارجى فقط ، ولكن يرجع أيضا الى التركز السكانى الشديد فى جماعة الجوار فى المدينة · واذا كانت الكثافة السكانية فى القرية مرتفعة على غير ما هو متوقع ، فانها لا تصل ابدا الى كثافة الاحياء الفقيرة فى المدن · فالكثير من الأسر تستخدم سلما واحدا ، ومرافق عامة واحدة ، وتتصل بالجيران بشكل اكثر كثافة مما هو الحال فى القرية · هذا فضلا عن أن التكيف مع مستوى العلاقات بين الناس فى المدينة يكون اكثر صعوبة بالنسبة للقادمين الجدد ، خاصة النساء ·

تحدث بعض التغيرات الأخرى داخل المنزل ذاته ، ربما يكون أهمها على الاطلاق عدم وجود حجرة زيادة · ففى المنزل الريفى تخصص حجرة كاملة للفرن حيث يتم اعداد الخبز يوميا ، وحيث يستخدم فى شهور الشتاء فى تدفئة المكان وفى نوم الأسرة التى لا تملك غطاءا كافيا · ويشعر بعض المهاجرين بالأسى لعدم وجود هذه الحجرة ، ويتضح ذلك فى الحقيقة التى مفادها أن بعضهم يفضل الدور العلوى فى السكن الحضرى وذلك لاقامة فرن قروى ( فوق السطوح ) وهم ينصحون القادمين الجدد من قريتهم ان يفعلوا نفس الشيء (١٤) ·

---

( ١٤ ) حسبما تقرر هند أبو السعود وهى انثروبولوجية تدرس قرية فى الدلتا ومهاجريها فى مدينة القاهرة .

ولكن المهاجرين ينظرون نظرة طيبة الى بعض التغيرات الأخرى فى المنزل ، لأنها تتفق مع ما يرغب فيه القرويون • فمن بين الأشياء ذات القيمة العالية فى أغلب المناطق الريفية مواقد الكيروسين الصغيرة التى تستخدم فى الطهى بدلا من « الكانون » ، وكذلك الدواليب التى توضع فيها الملابس ، والحجرات الصغيرة التى يحفظ بها مخزون كبير من السلع الاستهلاكية ، والسرير المرتفع باطاره الحديدى الأسود المذهب ، والذى يعتبر ـ فى المدينة كما فى القرية ـ أهم علامة على المكانة الاجتماعية ، وكل الأشياء الأخرى التى يميل المهاجرون الى ملىء منازلهم بها ، كلما استطاعوا الى ذلك سبيلا •

وتتغير ملابس المهاجر تغيرا طفيفا فى القاهرة • فالمهاجرون المنتخبون فقط هم الذين يتغيرون كلية من ارتداء « الجلابية » الى لبس البنطلونات والقمصان : أما بالنسبة للمهاجرين غير المنتخبين فان هذا التغير نادرا ما يكون مطلوبا لمجاراه النمط الحضرى ، والصنعة وليس المكان فى حد ذاتها أو محل الميلاد ، هى التى تحدد الزى الملائم • وربما كان هذا هو السبب فى أن التغير فى الزى اكثر ظهورا بين مهاجرى الدلتا عنه بين مهاجرى الصعيد •

ويسبب التغير فى الزى مشاكل أصعب بالنسبة للنساء • فالزى العام للنساء القرويات عبارة عن فستان طويل مزركش ذى ياقة ضيقة ، وأكمام طويلة ـ يكسوه فستان آخر مثله تماما أسود اللون • وتغطى الرأس كلية بمنديل وطرحة • وفى الوقت الذى تحافظ فيه القرويات المهاجرات على نفس الزى الريفى ( كما يفعل الكثير من سكان المدينة القدامى ) ، فان بعض صغيرات السن منهن يتخلصن فى البداية من الجلابية السوداء • وربما يطورون صيغة حضرية من الثوب المزركش ذات ياقة واسعة وكم قصير •

وتنطبق الملاحظات السابقة على أسر الدلتا الذين يتكيفون تكيفا نسبيا مع المدينة ، وهى لا تنطبق بنفس القدر على المهاجرين من مصر العليا الذين يعملون كخدم أو فى مهن أخرى حيث يقدم لهم سكن أو على هؤلاء الذين يبقون دون زواج أو يتركون أسرهم فى القرى • وهذه الجماعة التى تتعرض

لبيئة فيزيقية مختلفة تماما ، تعد أقل الجماعات تمثلا للقاهرة ، على غير ما هو متوقع · ولا تحدث فترة الحياة التى يقضيها المهاجر فى أجزاء المدينة التى تتناقض بشدة مع بيئة القرية سوى تغير سطحى فى الثقافة البسيطة للعامل اليدوى القادم من الدلتا الذى يعيش فى أحياء ريفية حضرية · ومع ذلك ، فانه يبدو أن عدم وجود التحول التدريجى والتأثيرات الوسطى التى تمارسها الأسرة وجماعة الجوار يحدث تأثيرا عكسيا يؤدى الى اطالة فترة التكيف عندما يكون الشخص غريبا · فغالبا ما يرفض هذا النوع من ، المهاجرين حياة المدينة رفضا تاما ، ويقتصر على اتصالاته الاجتماعية الدورية مع أبناء قريته الذين يعملون فى نفس مهنته ، وتتمثل حياته الحقيقية فى تلك الرحلات القصيرة غير المنتظمة التى يزور فيها أسرته فى القرية ·

**التكيف الاقتصادى :**

كان المهاجرون يرتبطون فى قراهم ارتباطا كليا بالزراعة · فالرجال يعملون عملا طويلا وشاقا أثناء فترات البذر والحصاد فى الدلتا ، وأثناء فترتى تغيير المحصول فى الصعيد · وتتبع هذه الفترات ذات النشاط المكثف فصولا ذات ايقاع بطىء يظهر فيها اهتمام بأجور الصيانة وبالعلاقات الاجتماعية فى الجماعة · وهكذا كان الايقاع الأساسى للحياة الريفية التى كان يعيش فيها المهاجر مليئا بالأعمال الثقيلة الشاقة التى تتناوب مع الأعمال الروتينية الخفيفة · ويختلف طول يوم العمل مع اختلاف المراحل فى دائرة هذا الايقاع ·

أما عمل المرأة المهاجرة فقد كان اكثر توزيعا على رعاية الأطفال ، وتجهيز الطعام والخبز ، وصناعة الجلة ، ورعاية الماشية يوما بيوم · أما عملها فى الحقل فقد كان يتم فى الساعات المبكرة من الصباح ، باستثناء المواسم المليئة بالعمل حيث كانت تقضى جزءا أكبر من النهار فى الحقل · وكان العمل يتم بشكل جماعى داخل منزل العائلة الممتدة ، أما خارج المنزل فانه كان يتم فى صحبة بعض النساء ·

وعملية غسل الملابس خير مثال على هذا العمل الجماعى · فالملابس تغسل فى القرية على حافة القنوات ، أو صنابير المياة الجماعية التى يتزايد عددها الآن · وهذا العمل لا يؤدى بطريقة فردية على الاطلاق ولنقارن ذلك بعملية غسل الملابس فى الشرابية ، وهى منطقة لاقامة المهاجرين تحدثنا عنها فيما سبق (١٥) · يتم الحصول على المياة فى هذه المنطقة أيضا من صنابير جماعية ، ولكن الصنابير هنا يحرسها أحد الرجال ، الأمر الذى لا يشجع النساء على غسل الملابس فى نفس المكان · فهن يحملن المياة الى المنزل لتغسل كل واحدة بمفردها داخل المنزل · وهناك وظائف أخرى تنقل داخل المنزل أو تضم الى بعضها فى عملية واحدة · وهكذا تتعرض المراة ذات الأصل الريفى لعملية اختزال واسعة لأعمالها الكثيرة ( اذا لم يكن لها وظيفة خارج المنزل ) ، ولكنها تتعرض فى ذات الوقت ، لعملية اختزال أكبر لحياتها الاجتماعية التى كانت تلازم أعمالها فى الريف ·

ومن الناحية الأخرى فان خبرة المهاجرين من الرجال غالبا ما تكون عكس ذلك · فالعمل الذى يؤديه العامل اليدوى فى المدينة يكون أكثر ارهاقا ، ويشغل بالتأكيد كل الوقت ، الى جانب أنه أقل فردية من العمل فى الريف · وتوجد بعض الاستثناءات بالنسبة للمهاجرين الذين يعملون كباعة جائلين ، أو ماسحى أحذية ، أو فى المقاهى ··· الى آخر مثل هذه الأعمال ، وبالنسبة للذين يعملون كخدم بطبيعة الحال · فمثل هذه الأعمال يتم تنظيمها بطريقة مستقلة وهى تؤدى بصاحبها الى مزيد من العزلة عن الاتصالات الأولية ·

ولكن الى أى مدى يكون المهاجرون الذين يعملون فى أعمال مريحة فى شركات الآخرين ، علاقات بزملائهم القادمين من بيئات مختلفة ؟ من المعروف أن اللاتجانس الاجتماعى يعد من الخصائص التى تميز الحضرية ، واذا كان لهذا اللاتجانس أن يخلق صورة عقلية نظيره ـ وأعنى النسبية الثقافية ـ فان

---

( ١٥ ) قدم هذا التفسير عبد المنعم شوقى ، الذى عمل اخصائيا اجتماعيا لمدة ١٤ سنة فى هذه المنطقة فيما سبق ·

الأفراد غير المتجانسين يجب أن يدخلوا فى علاقات ودية بعضهم مع البعض الآخر · فبينما تدمج المصانع ذات الانتاج الكبير الأفراد اللامتجانسين ، فان الأغلبية الغالبة من الشركات التجارية والصناعية بالقاهرة لا تستخدم سوى عدد قليل من الأفراد ، غالبا ما يكونوا من نفس الأسر · فضلا عن ذلك فان المهاجرين يعتمدون ـ فى الغالب ـ على أبناء قريتهم ليرشدونهم الى أعمالهم الأولى فى المدينة · وأحيانا يلجأ المهاجرون الى المعروفين بنجاحهم فى اعمالهم من قريتهم لكى يجدوا لهم عملا · وهكذا يتجمع المهاجرون سويا ليس فى السكن وحده ولكن فى العمل أيضا · ويوجد فى الشركات الأصغر فى القاهرة تجانسا فى قوة العمل لا يمكن أن تكون الصدفة وحدها هى التى خلقته · وهكذا فان العمل الذى يلتحق به المهاجر يمكن أن يقوى روابطة القرويه ، بدلا من أن يفصله عن رفاقه من القرويين ·

**التكيف الاجتماعى : ـ**

لقد أسىء استخدام الفروض التى قدمها لويس ويرث L. Wirth فى قضاياه المنطقية (١٦) · التى تعالج الفروق بين أساليب الحياة الريفية والحضرية ، كما لو كانت حقائق ثابتة ، كما أن الكثير من المفاهيم التى طورها علماء الاجتماع الذين درسوا المدن الأمريكية قد دلت على انها اقل

---

(١٦) انظر :

Louis wirth, «Urbanism as a way of life» **American Journal of Sociology, XLIV.** (July, 1938) 1-24.

وقد أعادت هذه المقالة صياغة بعض آراء الباحثين الالمان مثل :

Max Weber. The City, ed. and trams. D. Martindale and G. New wirth (Glencoe - Ill.; Fre Press, 1958)., and G. Simmel. «The Metropolis as Mental life» **The Sociology of Georg Simmel.** Trans. Kurt wolff (Glencoe, Ill; Free Press 1950,) pp. 409 - 484).

صدقا عند مقارنتها بكم كبير من البيانات عن المدن غير الغربية ومدن ما قبل الصناعة • وفى الوقت الذى ظهر فيه الكثير من التفنيد لهذه المفاهيم (١٧) • لم تظهر أى اعادة صياغة لها •

افترض ويرث أن المحددات الايكولوجية للمدينة ( الأعداد الكبيرة لأفراد غير متجانسين يعيشون فى مناطق سكنية ثابتة وذات كثافة عالية ) يترتب عليها بعض النتائج الاجتماعية منها على سبيل المثال خاصية اللاشخصية anonymity ، والاعتماد على العلاقات والجزاءات غير الشخصية ، والتعقد الثقافى ، وتقبل التغير • ولكن الى أى مدى تتفق العلاقات الاجتماعية فى القاهرة مع هذه الانماط والنماذج المحددة سلفا ، وكيف يكيف المهاجر الريفى شخصيته ليصبح عضوا مفيدا فى المجتمع الحضرى المعقد ؟

رغم أن هذه الأسئلة أكبر طموحا من أن يجاب عليها هنا ، الا أننا نستطيع أن نفترض قضيتين ، الأولى أن ثقافة القاهرة لاتوصف باللاشخصية، والعلاقات الثانوية ، وغير ذلك من خصائص الحياة الحضرية • والثانية أن المهاجرين الى القاهرة يبدعون دائما ـ وبنشاط ـ العديد من النظم تكون وظيفتها الأساسية حمايتهم من صدمة مواجهة هذه العلاقة اللاشخصية •

تضفى ثقافة الشرق الأوسط على العلاقات الشخصية قيمة عالية ، حتى على حساب الحياة الخاصة والتطور الداخلى • وتعمل هذه الخاصية الى جانب وجود نسق من العلاقات القائمة على الجماعات القرابية الممتدة ، تعمل على زيادة الروابط الأولية ، الى درجة لا يمكن أن يتصورها علماء

---

( ١٧ ) انظر على سبيل المثال :

Gideon Sioberg «The Preindustrial City» **American Journal of Sociology**, LX (March, 1955), 438 - 445., Horace Miner, **The Primitive City of Timbuctoo** (Princeton university Press, 1953).

الاجتماع الغربيون الذين يفكرون فى ضوء خبرتهم الخاصة (١٨) • فشبكة العلاقات الشخصية هنا تربط برباط وثيق المئات بل الألوف من الأفراد •

ولو كانت القاهرة مجرد جمهور من الأفراد غير محدد المعالم ، فان شبكة العلاقات هذه ـ على اتساعها ـ سوف لا تفسر الا قطاعا بسيطا من العلاقات بين الأفراد • ومع ذلك فان القاهرة لا تعد مجتمعا محليا واحدا ، وانما مجموعة من المجتمعات المحلية المنفصلة • بل ان هناك حدودا جغرافية بين أجزاء المجتمع المحلى الواحد طبقا للوظائف التى تؤديهـا ، فنجـد ان الأفراد يعملون فى جزء منه ، ويسكنون فى جزء ثان ، ويروحون عن أنفسهم فى جزء ثالث • ويمكن لعضو من مجتمع محلى معين أن يمر بالاطار الفيزيقى للمجتمعات المحلية الأخـرى ، دون أن يهتم بهـا أو يعزوا اليها أهميـة فى حياته • غير انه لا يعرف على الاطلاق أى قدر من الابهام داخـل جماعتـه المحلية •

وعلى المهاجر المصرى أن يكيف نفسه داخل هذا الاطار من الحضرية ، ومما يسهل من عملية تكيفه مع تلك النظم الرسمية وغير الرسمية التى يطورها المهاجر داخل مجتمعه المحلى ، والتى أشرنا الى أحدها بالفعل ، وأعنى جمعية القرية الخيرية • فمن خلالها يتلقى المهاجرون تدعيما روحيا وتأمينا ضـد مظاهر عدم الأمن فى الحياة الحضرية واهمها العزلة ، والفقر ، والمرض ، والموت (١٩) • ومع هذا فان عدد المنضمين الى هـذه الجمعيات لا يزيد عن ١٠٠ر٠٠٠ مـن عدد المهاجـرين البالـغ عـددهم ٦٠٠ر٠٠٠ مهاجـر عام

---

( ١٨ ) لقد رفض فيبر العلاقات غير الشخصية كعنصر فى تعـريف لمدينة مشـيرا الى أن العوامل الثقافية المختلفة تتحكم فى درجة ظهور العلاقات غير الشخصية ( أنظر المرجـع السابق ، ص ٦٥ ) وانظر ايضا المرجع التالى ايضا ـ

Richard Deway «The Rural - Urban Continuum» American Journal of Sociology, LXVI (July, 1960) 60 - 66.

( ١٩ ) تقدم كل الجمعيات الخيرية خدمات دفن الموتى ، ويشبه ذلك تنظيمات تأمـين الدفن التى يقيمها الزنوج المهاجرون الريفيون الى المدن الشمالية فى الولايات المتحدة .

١٩٤٧ (*) • ومع ذلك فانه حتى لو كانت هذه الجمعيات تقدم خـــدمات هامة بالنسبة للمهاجرين ، فانها تفشل فى أن تستوعبهم جميعا •

وبالنسبة للمؤسسات الرسمية الأخرى ، فانها لا تلعب سوى دورا طفيفا فى توحيد المهاجرين مع الجماعة • فالنقابات العماليـــة ( باســتثناء الطوائف الحرفية ) ، والاتحادات المدنية ، والتنظيمات الخيرية ، والجماعات السياسية كل هذه المؤسسات لم تتطور تطورا كافيا فى القاهرة • ولهذا يجب أن نلتفت الى التنظيمات غير الرسمية اذا ما أردنا أن نفهم ـ بعمق ـ نماذج التكيف • والبيانات فى هذا الصـدد ناقصـة ان لم تكن غير موجودة على الاطلاق • واذا كنا نستطيع أن نشير الى بعض هذه التنظيمات على أنها تلعب دورا فائقا وهاما فى حياة المهاجرين ، فاننا لا نستطيع أن نقدر مدى هذه الأهمية •

من أهم هذه التنظيمات غير الرسمية المقاهى التى يصرف فيها الذكور فى مجتمع الشرق الأوسط أمور حياتهم الاجتماعية والمهنية • وهى تشـبه النمط القديم من المقاهى الانجليزية ، بزبائنها الذين يتصفون بالهدوء ، وما يسود فيها من جو الألفة مما جعلها بؤرة اجتماعية لحياة الأفراد • ويدير المقهى أحد القرويين ، وهو يخدم أفرادا من نفس قريته • ويعرف المهاجرون من المقهى أخبار القرية ، ويقدمون الى بعضهم مساعدات متبادلة فيما يتعلق بالحصول على عمل • ويشبه هذا المقهى ناديا صغيرا أكثر منه مشـروعا تجاريا •

---

( * ) بلغ تقدير صافى الهجرة من الريف الى الحضر فى الفترة ما بين ١٩٦٠ ــ ١٩٧٠ حوالى مليون و ٤٠ الف مهاجر ومهاجرة • ويوضح ذلك قوة الجذب التى تتمتع بها مدينـــة القاهرة عن غيرها من المدن الكبرى •

انظـــر :

ــ مؤشرات الثروة البشرية فى الجمهورية العربية المتحدة ، عام ١٩٧٠ ، الجهـــاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ، نوفمبر ١٩٧٠ • ( المترجم )

ولا توجد أية روابط غير رسمية خاصه بالنساء فى المدينة فالبرغم من أن هذه الروابط لا توجد فى القرية ، الا أن الاحتفالات الدينية ، وعادات الميلاد والزواج والوفاه تعد من المناسبات التى تلعب فيها النساء دورا كبيرا • وتصبح هذه المناسبات فى المدينة ـ وبعد الهجرة ـ اكثر خصوصية ، وينحسر دور المرأة فيها الى حد كبير • فالحياة الاجتماعية فى المدينة ترتبط اكثر بجماعة الجوار المباشرة •

وجماعة الجوار هذه هى التى تشكل ـ بعد الاسرة ـ اهم نظام اجتماعى غير رسمى بالنسبة لمهاجرى المدينة • ويقوى ترابط جماعة الجوار من خلال ميل الأفراد من نفس القرية لأن يستقروا بجوار بعضهم البعض • والموقف هنا مشابه لما يحدث فى أماكن اخرى حيث يعتبر النساء والأطفال وكبار السن أكثر المشاركين فى الحياة الاجتماعية لجماعة الجوار نشاط •

**الدافعية والايديولوجية : ـ**

من المفترض أن تختلف فلسفة الحياة weltanschauung بالنسبة لرجل المدينة عن نظيرتها بالنسبة لرجل القرية فى امور عديدة • **اولا :** من المفترض أن يؤدى التخفيف من حدة الضبط الاجتماعى الشخصى الذى كان موجودا فى القرية الى مزيد من التباين بين الأفراد • ومن المفترض ان تكون المدينة ـ **ثانيا** ـ اكثر أمنا واكثر رشدا واكثر آلية فى تنظيم الأنشطة • وتعد المدينة ـ **ثالثا** ـ مكانا لالتقاء معرفة اكثر دقة بالعالم الخارجى • **وأخيرا** ، فقد كانت المدن عبر تاريخها مراكز لحركات التغير الاجتماعى ، بدءا من ظهور الديانات الجديدة ، وحتى ظهور الأيديولوجيات السياسية الجديدة وتغيير نمط القوة القائم •

وبالرغم من أن هذه القضايا على جانب كبير من الصواب ، فان البيانات المستقاة من مدينة القاهرة قليلة الى درجة لا تسمح لنا بأن نضع المهاجرين الريفيين على المتصل الذى يمتد من المجتمع الشعبى المقدس ، المنعزل ، الثابت نسبيا ، الى المجتمع الذى يتميز باقصى درجات الحضرية •

وذلك لسبب بسيط هو أن النمط الجامد الخاص بالمجتمع الشعبى لا ينطبق على القرية المصرية • فالفلاحون والمزارعون يزرعون المحاصيل التجارية المرتبطة بالأسواق العالمية ( القطن والسكر ) ، ويستمعون الى المذياع ، ويذهبون غالبا الى أسواق المدن ، ولهم أصدقاء وأقارب فى المدن ، ويرسلون أطفالهم للمدارس طبقا لنظام التعليم القومى • وكل هذه الأمور كسرت بالفعل من حدة العزلة • ومن الناحية الأخرى فانه من الممكن أن يعيش المرء ـ كما رأينا ـ داخل القاهرة خارج نطاق التيار الرئيسى للحياة الحضرية • ولهذا فانه فى الوقت الذى قد توجد فيه هوة واسعة بين القروى ذى الثقافة البسيطة والمتحضر ذى الثقافة المعقدة ، فانه لا يوجد دليل على أن المهاجر ينتقل بالضرورة من قطب الى القطب المقابل •